تقديم

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ومصطفاه، محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى كل من اتَّبع هُداه.

وبعـــد:

فهذه رسالة موجَزة للأخ **الأستاذ /خالد نجم**، في موضوع **(الغَضَب)**. كتبها **غَيْرَة** على الشباب الناضج الواعي، **وحبًّا** للإسلام الذي نحبُّه وننتمي إليه، **ولبيان** أن الناس صاروا يسمُّون الأشياء بغير مسمَّياتها، ومن ذلك عندما خرج بعض الشباب يوم السادس من إبريل تحت مسمَّى **(يوم الغَضَب)**، ولم نكن نعرف اسمًا لذلك، إلا أنه اسم من أسماء يوم القيامة، كما قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ.. }**(١)، وقد اقترحت عليه إضافة مبحث ثانٍ عن **(الحَمِيَّة)**، فقام بذلك مشكورًا مأجورًا إن شاء الله، حتى اكتمل البيان، واتَّضح المقال، فصارت الرسالة بذلك كتابًا، وجاء على مبحثَيْن أساسِيَّيْن:

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري: ك: تفسير القرآن ، ب: ذرية من حملنا مع نوح..، ح (٤٧١٢) ، ومسلم: ك: الإيمان ، ب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ح (٣٢٧).

• **المبحث الأول: الغَضَب:** وبيان أن منه ما هو محمود، وهو ما كان غضبًا لله ﷻ، عندما تُنتَهك حرمات الله تعالى، ومنه ما هو مذموم.

ولذلك كان من وصايا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأحد أصحابه: [لاَ تَغْضَبْ][1]، وأن هذا الغَضَب من الشيطان - نعوذ بالله منه -، وأن عواقبه وخيمة وأليمة في الدنيا والآخرة.

• **المبحث الثاني: الحَمِيَّة:** وبيان أنها من الجاهِليَّة، كما قال تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ (الفتح: ٢٦). فكانت صفة ملازمة للذين كفروا، ثم وصفها الله تعالى بالجاهِليَّة، ولا يُستثنَى من هذه الحَمِيَّة الباطلة إلا الحَمِيَّة للحق، وهو الله ﷻ، ويراد به أيضًا العدل بين الناس.

******

هذا... واللهَ أسال أن يشرح صدور شباب الأمة ورجالها ونسائها للحقِّ والصواب، وأن يؤلِّف بين قلوبنا جميعًا، وأن يجمعنا على كلمة

(١) أخرجه البخاري: ك: الأدب، ب: الحذر من الغَضَب، ح (٦١١٦).

سواء، وأن يحفظنا من الفتن والفاتنين والمفتونين، وأن يراجع كل واحد منَّا نفسه، ليضعَها في الموضع اللائق بها في كتاب الله ﷻ، وسنة نبيِّه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وجزى اللهُ مؤلِّفَه وناشرَه، وكلَّ من ساهم في نشره وتوزيعه خير الجزاء، وصلِّ اللهمَّ على النبيِّ محمدٍ وسلِّم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

أسامة بن محمد بدوي البراجة

٢٢ / ٨ / ١٤٣٤ هـ

******

بسم الله الرحمن الرحيم

لا تغضب

• **تمهيد:**

إن الله ﷻ لما أراد الخير للعرب خاصة، وللخلق عامة، أرسل إليهم رسولا من أنفسهم، يعرفون أباه وأمه، ليتلوَ عليهم آياته، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، ويجمع شتاتهم، ويقضى على عصبيتهم وعلى حميتهم الجاهليَّة، ويتمم لهم صالح الأخلاق، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربِّهم، ويهديهم إلى صراط مستقيم.

أراد الله ﷻ أن يخرجهم من ظلمات الشرك وعبادة الأصنام والأوثان، إلى نور التوحيد وتخليص العبادة له وحده، وتخليتهم من شوائب الأخلاق وشوائب العبادة، وصرفها لله وحده لا شريك له، وأراد تنقية عقائدهم وقلوبهم وأبدانهم من الشبهات والشهوات، فبدأ الله ﷻ بتخليتهم من هذه العلائق، والشوائب العقائدية، والأخلاقية التي علِقت بهم، وتفشَّت فيهم.

• ومن هذه العلائق العقائديَّة: استغاثتهم وتوسلهم واستشفاعهم

بغير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، وصرفهم العبادة لغير الله تعالى، كالنذر والذبح، ظنا منهم أنهم يتقرَّبون بذلك إلى الله زلفى.

قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ (الزمر).

فالعرب كانوا يُقِرُّون بالربوبية لله ﷻ، ويُقِرُّون بأن للكون خالقًا، مالكًا مدبِّرًا مصرِّفًا لأمره، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ (العنكبوت). ففساد عقائدهم كان في صرفهم العبادة لغير الله تعالى.

• ومن علائق وشوائب أخلاقهم: أنهم قد تفشَّى فيهم الظلم والفساد، والفحش والتفحش والمنكرات، والاستعباد والاسترقاق، فكانوا يشربون الخمر، ويأكلون الربا، ويأتون الفواحش، ويستحلون الفروج بغير حق، ويأكلون أموال الناس بالباطل، وتفشَّت فيهم العصبية الزائفة والحَمِيَّة، حميَّة الجاهليَّة الأولى، فكانوا يتقاتلون ويُريقون الدماء على أقل شيء.

فمن ذلك ما بلغنا مما كانوا عليه من جاهلية وشرٍّ شديدَين، فقد

وقعت بين العرب حربان ضروسان، كادوا أن يفنَوْا فيها عن بكرَة أبيهم:

الحرب الأولى: داحس والغبراء، وكانت بسبب ناقة.

الحرب الثانية: حرب البَسوس، التي استمرت سنين عدَّة، حتى كاد العرب أيضا أن يفنوا فيها.

• فهذه بعض أخلاق العرب في الجاهليَّة التي كانت تعبر عن حالة اجتماعية شديدة الصعوبة، فقد قال الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم في معلقته الشهيرة:

ألَا لَا يَجْهَلَنْ أحَدٌ علينَا فنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الجَاهِلِينا

معبِّرًا عما كانوا عليه من شدَّة وقوَّة، وعصبيَّة وحميَّة شديدة عند الغَضَب.

وكذلك قول السَّمَوْأَل بنِ عادياء في شعره، وهو يفتخر بشدَّتهم وعصبيَّتهم:

وإنَّا لقومٌ لا نَرى القتلَ سُبَّةً إذا ما رأتْهُ عامرٌ وسَلولُ
يُقَرِّبُ حُبُّ الموتِ آجالَنا لَنا وتَكرَهُهُ آجالُهُمْ فَتَطولُ

وما ماتَ منَّا سيدٌ حَتْفَ أنْفِهِ ولا طُلَّ منَّا حيثُ كانَ قتيلُ
تَسيلُ على حَدِّ الظُّباتِ نفوسُنا وليسَتْ على غيرِ الظُّباتِ تَسيلُ

• وهذه الصورة المعبِّرة عن حالهم وما كانوا عليه كانت تخفي بعض الفضائل والأخلاق الكريمة التي كان العرب يتحلَّون بها، وينفردون بها عن غيرهم من الأجناس الأخرى.

فمن هذه الأخلاق: الشجاعة، والنخوة، والوفاء، والكرم، والجود، وغير ذلك من بعض الفضائل الكريمة التي توارت خلف ما سبق مما كانوا عليه من فساد وخلل في العقائد والأخلاق، وفي مطلع قصيدة السموأل قال:

إذا المرءُ لم يُدَنِّسْ من اللُّؤمِ عِرضُهُ فكُلُّ رداءٍ يَرتديهِ جميلُ
وإنْ هُوَ لم يَحمِلْ على النفسِ ضَيْمَها فليسَ إلى حُسْنِ الثَّناءِ سبيلُ

فالشاعر هنا ركز على قاعدتين أخلاقيَّتين عامتين، تربط أولاهما بين تحاشي الرذيلة والإبقاء على الشرف، وتجعل الثانية من حمل النفس على المكاره طريقًا نحو عزَّتها بين الناس.

فعموميَّة هذا المضمون الأخلاقي تتجلَّى عبر أسلوبين تقريريَّيْنِ

للشرط، استقلَّ كل منهما بقاعدة أخلاقية، وعبر معجم شعري ضمَّنه الشاعر من ألفاظ اللغة، ما يكرِّس لعمومية الموقف الأخلاقي في كل أسلوب شرطي، ففضلًا عن كلمة (المرء) التي تدل على معنى أخلاقي لأنها من المروءة، وكلمة (اللؤم) التي تدل على كل معنى من معاني الرذيلة، **فاللؤم**: هو اسم جامع للصفات المرذولة، فذلك في الشطر الأول بالبيت الأول، ثم أعاد الشاعر إنتاج الدلالة ذاتها من خلال الضمير (هو) والمصدر (ضيم) في الشطر الأول بالبيت الثاني، فإن في جملتي الجواب من ألفاظ ومن صياغة وأسلوب الإخبار في الجواب الأول، والنفي المستوعب في الجواب الثاني ما يؤكِّد هذه العمومية، ويرتقي به إلى مستوى القانون الذي يجب أن يتنزل على كل أفعال وممارسات البشر.

• **وخلاصة ما سبق** أن المرء كفي به أخلاقًا ومكارمَ وشرفًا وفضيلةً ألا يُمَسَّ عِرضُهُ، أو تمسَّ أخلاقُه برذيلة أو خَسيسة، حتى وإن كان عمله قليلًا؛ فسيظهر عليه ذلك العمل القليل، كالرداء والثياب البسيط الذي يظهر جماله مع قلة قيمته وجودته، ولكنه استمدَّ هذا الجمال لأنه دائمًا نظيف وخالٍ من الأدران والشوائب،

ولحرص المرء الطاهر النقيِّ من الرذائل، ومن الفحش والتفحش والمنكرات على مراقبة نفسه ورداءه وحاله، فإذا ذكر اسمه في أي موطن ومكان في حضوره أو غيبته لن يُذكَر إلا بالثناء والخير، وإن لم يحرص على حمل نفسه وحضِّها على الفضائل فلن تجد أحدًا يُثني عليه، أو يذكره بخير حتى وإن كان أقرب المقرَّبين.

فلذلك نقول:

• إن المرء المسلم في أي زمان ومكان عليه أن يتخلَّى عن الرذائل، وعن مساوئ الأخلاق، ويراقب نفسه، ويتحلَّى دائمًا بالأخلاق والفضائل، حتى تستردَّ الأمة عزَّها ومجدها، لتسترجع مجد الأجداد، فلن تقوم قائمة الأمة إلا بالرجوع إلى الشِّرْب الأول، وبالتمسُّك بالكتاب والسنة على هدى الصحابة وبفهم سلف الأمة، فقد قال الشاعر:

إنَّما الأمَمُ الأخلاقُ ما بَقِيَتْ *** فإنْ هُمُ ذَهبَتْ أخلاقُهُمْ ذَهَبُوا

وقال آخر:

فتَحَ العربُ والمسلمونَ الأندلسْ *** حينما كانوا في الأرضِ خَلائفْ

وخرجَ العربُ والمسلمونَ من الأندلسْ *** حينما أصبحوا في الأرضِ طَوائِفْ

فمن سنن الله الكونيَّة التي لا تتبدَّل ولا تتحوَّل ولا تتغيَّر:

• أنه سبحانه وتعالى لم يكن قد أنعم على قوم بنعمة وخير إلى نقمة وبلاء حتى يغيِّروا ما بأنفسهم من شكر وطاعة وعبادة، ومكارم أخلاق، إلى كفر بالنعمة وترك الطاعة والعبادة، ومساوئ الأخلاق.

فقد قال تعالى موضِّحًا ذلك: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣﴾ (الأنفال).

• وأن البركة والرزق يتعلَّقان بأفعال العباد وبأخلاقهم، فإذا قام العباد بحقِّ ربِّهم، وأقاموا دينه وشرعه، واتَّقَوْه، وأطاعوه، وتخلَّقوا بأخلاق القرآن، وبأخلاق نبيِّهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتح الله تعالى السماء عليهم بالبركات وبالخيرات، وكذلك أمر الأرض أن تُخرِجَ بركتها وخيرها للعباد، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦﴾ (الأعراف).

• وعلى النقيض، وبمفهوم المخالفة، فإن قصَّر العبدُ في كل ما سبق من إيمان بربه، وطاعة له ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإقامة دينه

وشرعه، وتخلَّى عن الأخلاق، وحرَص على الدنيا وزينتها، وغَرِق في الشَّهَوات، وسقَطَ في الشُّبُهات، وابتعد عن ربِّ البريَّات أمر الله السماء ألا تنزِل ماءها، والأرض ألا تخرج خيرها ونباتها وبركتها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ (الرعد).

• فعلى الأمة جميعًا كي يغير الله ما بها من بلايا، وأمراض، وأزمات، وصراع، وأوبئة، وطواعين لم تكن في الأسلاف أن يغيِّروا ما بأنفسهم أولًا، وأن يبدءوا بالتخلية قبل التحلية.. تخلية التوحيد مما علَق به، وتخلية العقائد من الشُّبُهات، وتخلية العبادات من البدع والضلالات والشركيَّات، وصرفها لله وحده لا شريك له، وتخلية الأخلاق مما شابَها وعلَق بها.

• فها هي أمتُنا قد أُكِل فيها الرِّبا، وشُرِب الخمر، وانتشر الزنا، وخلَعت النساءُ ثيابَها وحياءَها، وتخلَّى الرجال عن نخوتهم ورجولتهم، وتشبَّهت الأمة بأعداء الإسلام في كل شيء.. في اللباس، وفي الطعام والشراب والهيئة، وفي قوانينهم الوضعيَّة، التي رضينا بها حَكَمًا بيننا.. في دمائنا وأعراضنا وأموالنا، وفرَّطنا في الشريعة، وسلكنا مسالكهم

حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، حتى إذا سلكوا جُحْرَ ضبٍّ سلكناه.

لذلك أصبحت الأمة في ذيل الأمم بعد أن قادتها قرونًا، ونشرت فيها العلم والإيمان، فإن أرادت الأمة العزة فعليها – ابتداءً - أن تتخلَّى عن كل الرذائل، وعن العصبيَّة، والفُرقة، فلن يصلح الله أمر هذه الأمة إلا بما أصلح به أولها.

• إن الله ﷻ لما أراد الخير للعرب ولنبيِّهم ﷺ بدأ بتخليتهم من كل هذا.. من زخم الشرك والوثنية والجاهليَّة ومساوئ الأخلاق والفواحش التي كانت عليها قريش، وحفظ الله تعالى نبيَّه ﷺ من مقارفة جميع ما سبق، فحبَّب إليه الخلوة، فكان يخلو بغار حراء الليالي ذوات العدد، فيتحنَّث فيه (يتعبَّد) الليالي ذوات العدد، كما قالت عائشة رضي الله عنها (١).

أراد الله ﷻ أن يُعِدَّ نبيَّه ﷺ بدنيًّا بصعوده الجبل، وقَلْبِيًّا بالتحمُّل أن يخلو وحدَه في الغار في ظلمة الليل البهيم، بلا صاحب، وبلا رفيق.

• فهذه رسالة لكل مسلم أراد لنفسه ولأمته أمرَ رُشْدٍ أن يبدأ بما

(١) أخرجه البخاري، ح (٣)، ومسلم، ح (١٦٠).

بدأ به الله ﷻ برسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن يبتعد عن مواضع الفتن، وعن الفُحْش والتفحُّش والمنكرات، ومواطن الضلال لأن تركها في حدِّ ذاته عبادة لله ﷻ إن خلصت نيَّته، وأن يتدرَّب على ذلك، وأن يُعِدَّ قلبَه وبدنَه لذلك.

والخير الذي أراده الله للعرب أنه أوحى إلى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن المكيَّ الذي كان يتَّسم بدعوة الناس إلى نبذ الشرك ومظاهره، ويصحِّح العقائد، ويدعو إلى محاسن الأخلاق، فالفرائض والأحكام لم تفرَض إلا في المرحلة المدنيَّة، فالأساس الذي أسَّس عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البناء، هو تأهيل الرجال بتصحيح العقيدة، وبإتمام صالح ومكارم ومحاسن الأخلاق، وعلاج أمراضهم، لا سيما وعلى رأس هذه الأمراض: الأمراض القلبية التي تترتَّب عليها آثار مدمِّرة على الفرد والمجتمع، أخلاقيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا.

• ومن جملة الأمراض المؤثِّرة سلبيًّا على الأفراد والمجتمعات مما نعيشه واقعًا: الغَضَبُ والحَمِيَّةُ للباطل، واللَّذان تفشَّيا بصور تذكِّر بما كان عليه أهل الجاهليَّة الأولى، ولخطورة ذلك استعنت الله تعالى للكتابة في هذين الموضوعَيْنِ، وقسَّمت ذلك على مبحثين أساسيين:

المبحث الأول: الغَضَب، وأعني بذلك الغَضَب المذموم، لا عموم الغَضَب؛ لأن صفة الغَضَب صفة جبليَّة جبل الله تعالى الخلق وفطرهم عليها.

المبحث الثاني: الحَمِيَّة الجاهليَّة.

واللهَ أسأل أن يجعل ذلك في ميزان حسناتي، وحسنات والدَيَّ ومشايخي، ومن كان لهم فضل عليَّ... آمين.

***